

الفصل الثاني

الإسراء والمعراج من الكتاب والسنة

obeikandi.com

نصوص قرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير)^(١) .
(والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفهمونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى)^(٢) .

(إنه لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين . وما صاحبكم بمجنون . ولقد رآه بالأفق المبين . وما هو على

(١) سورة الإسراء : آية ١ .

(٢) سورة النجم : الآيات ١ - ١٨ .

الغيب بضنين) (١) .

* * *

إن في آيات سورة النجم الشريفة تكريماً عظيماً للرسول ﷺ .
فقد :

- ١ - نزه الله علمه عن الضلال : (ما ضل صاحبكم) .
- ٢ - وعمله عن الغواية : (وما غوى) .
- ٣ - ونطقه عن الهوى : (وما ينطق عن الهوى) .
- ٤ - وفؤاده عن التكذيب : (ما كذب الفؤاد ما رأى) .
- ٥ - وبصره عن الزيف : (ما زاغ البصر) أى ما التفت إلى غير
الجهة التى تعنيه .

٦ - وعن الطغيان : (وما طغى) ، والطغيان مجاوزة الحد .
ولقد أكد الله سبحانه وتعالى ذلك كله ، وأقسم عليه ، ولا ريب
أنه شاء من رب العزة على رسوله ﷺ ، فى أروع صورة . وستزيد هذه
الآيات شرحاً فيما بعد إن شاء الله .

* * *

(١) سورة التكرير : الآيات ١٩ - ٢٤ .

الأحاديث النبوية

١

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال :

« أتيت بالبراق : وهو دابة بيضاء ، فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته ، فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة في الحلقة التي يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتاني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن .

فقال جبريل : أصبت الفطرة .

قال : ثم عرج بي إلى السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل فقيل له : من أنت ؟

قال : جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟

قال : قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي

بخبير .

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل ، فقيل له : من أنت ؟

قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟

قال : قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟

قال : قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام ، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن . فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال : جبريل ، فقيل : ومن معك - قال : محمد ، فقيل : وقد أرسل إليه ؟

قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس ، فرحب بي ودعا لي بخير ، يقول الله تعالى :
(ورفعناه مكاناً علياً)^(١) .

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟

(١) سورة مريم : آية ٥٧

قال : جبريل ، فقيل : ومن معك ؟ قال محمد ، فقيل : قد أرسل إليه ؟

قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون ، فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟

قال : جبريل : قيل : ومن معك ؟

قال : محمد ، فقيل : وقد بعث إليه ؟ . قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى عليه السلام ، فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟

قال : جبريل : فقيل : ومن معك ؟

قال : محمد . فقيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا : فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام ، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك . ثم لا يعودون إليه .

ثم ذهبت إلى سدرة المنتهى ، فإذا أوراقها كأذان القبلة ، وإذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها ، قال : فأوحى الله إليّ ما أوحى . وقد فرض علىّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة .

فترلت حتى انتهيت إلى موسى . قال : ما فرض ربك على أمتك ؟
قلت : خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، قال : ارجع إلى ربك ،
فأسأله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، وإني قد بلوت بني
إسرائيل وخبرتهم .

قال : فرجعت إلى ربي فقلت : أي رب خفف عن أمتي ، فحط
عن أمتي خمساً .

فترلت حتى انتهيت إلى موسى فقال : ما فعلت ؟ فقلت حط عنى
خمساً ، فقال : إن أمتك لا تطيق ذلك ، فأرجع إلى ربك فأسأله
التخفيف لأمتك .

قال : فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى . وحوط عنى خمساً خمساً
حتى قال : يا محمد هن خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة
عشر ، فتلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة ؛ فلم يعملها كتبت له
حسنة . فإن عملها كتبت له عشرًا ، ومن هم بسيئة ، فلم يعملها لم
تكتب ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة .

فترلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته . فقال : ارجع إلى ربك
فأسأله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فقال رسول الله
ﷺ :

« لقد رجعت إلى ربي حتى استحييت . »

رواه مسلم بهذا السياق .

قال البيهقي : وفي هذا السياق : أن المعراج كان ليلة أسرى به عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس .

ويقول ابن كثير عن ذلك :

وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية .

* * *

وقبل أن نبدأ أحاديث أخرى نذكر أنه :

ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء ، والمتكلمين ، إلى أن

الإسراء والمعراج :

وقعا في ليلة واحدة في اليقظة .

يجسد النبي ﷺ وروحه .

بعد البعثة .

ولقد توارد على ذلك - كما يقول الإمام ابن حجر - ظواهر الأخبار

الصحيحة ، ولا ينبغي العدول عن ذلك ، إذ ليس في العقل ما

يجيله (١) حتى يحتاج إلى تأويل .

ولو كان ذلك مناماً ، أو بالروح فقط لما كذب رسول ﷺ

مكذب ، لجواز وقوع مثل ذلك وأبعد منه لآحاد الناس .

إن الناس في الرؤيا يرون أنهم سافروا وأبعدوا ، وذهبوا وجاءوا

وعقدوا العقود ورأوا نتائج عقودهم ، وثمار عهودهم ، فلو كنا بصدد

(١) يفرضه مستحيلاً

رؤيا لما ارتاب في صدق الصادق الصدوق صلوات الله وسلامه عليه إنسان .

ولما أشفقت السيدة أم هانئ رضي الله عنها على رسول الله ، ﷺ ، لما أخبرها الخبر وقال : إنه سيحدث الناس به ، فأرادت منه أن يعدل عن ذلك قائلة : إنهم سيكذبونك . فلم يستجب صلوات الله وسلامه عليه لنصيحتها ، لأن الحق ينبغي أن يذاع ، وأذاعه ، ﷺ ، بين الناس ، وحدث ما حدث مما سنذكر بعضه فيما بعد إن شاء الله .

٢

وفي حديث عند الطبراني والبخاري أنه عليه الصلاة والسلام : مر على قوم يزرعون ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان .

فقال لجبريل عليه السلام : ما هذا ؟

قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله ، تضاعف الحسنة إلى سبعائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين .

ثم أتى على قوم ترضح رءوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت ، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هؤلاء الذين تتناقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة .

ثم أتى على قوم ، على أقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع ،

يسرحون كما تسرح الأنعام ، يأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم .

فقال : ما هؤلاء ؟

قال : هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم ، وما ظلمهم الله ، وما
ربك بظلام للعبيد .

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ، ولحم نى خبيث ،
فجعلوا يأكلون من النى الخبيث ويدعون النضيج .

فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟

قال جبريل :

هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتى امرأة
خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً
طيباً ، فتأتى رجلاً خبيثاً فيبيت عنده حتى تصبح .
ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها
وهو يزيد عليها .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا الرجل من أمتك ، تكون عليه أمانات الناس ، لا يقدر
على أداءها وهو يريد أن يحمل عليها .

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما
قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء .

قال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هؤلاء خطباء الفتنة .

قال : ثم أتى على جحر صغير يخرج منه نور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟ .

قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها .

ثم أتى على وادٍ توجد فيه ريح طيبة باردة ، وريح مسك ، وسمع صوتاً .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا صوت الجنة ، تقول :

رب آتني بما وعدتني ، فقد كثرت غرني وإستبرقي ، وحريري وسندسي ، وعبقري ، ولؤلؤي ، ومرجاني ، وفضتي ، وذهبي ، وأكوابي ، وصحافي وأباريقي ، ومراكبي ، وعسلي ، ومائي ، ولبني ، وخمري ، فاتني بما وعدتني !!

قال : لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بي وبرسلي ، وعمل صالحاً ولم يشرك بي شيئاً ، ولم يتخذ من دون الله أنداداً .

ومن خشيني فهو آمن ، ومن سألتني فقد أعطيته ، ومن أقرضني جازيته ، ومن توكل عليّ كفيته .

إني أنا الله لا إله إلا أنا ، لا أخلف الميعاد ، قد أفلح المؤمنون ،
وتبارك الله أحسن الخالقين :

قالت : فقد رضيت .

ثم أتى علي وإدٍ فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً منتنة .

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا صوت جهنم ، تقول :

رب آتني بما وعدتني : فقد كثرت سلاسلي ، وأغلالي وسعيري
وحميمي ، وضريعي ، وغسّاقى ، وعذابى ، وقد بعد قعري ، واشتد
حرى ، فآتني بما وعدتني .

قال : لك كل مشرك ومشركة ، وكافر كافرة ، وكل جبار لا يؤمن
بيوم الحساب .

قالت : قد رضيت .

فسار حتى أتى بيت المقدس .

٣

وفى رواية أبى سعيد عند البيهقي : دعانى داعٍ عن يمينى ، أنظرنى
أسألك ، فلم أجبه .

ثم دعانى آخر عن يسارى لذلك فلم أجبه . وفيه :

إذا امرأة حاسرة عن ذراعها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى ،
فقالت :

يا محمد : أنظرنى أسألك ؛ فلم ألتفت إليها . وفيه :
أن جبريل قال له :

أما الداعى الأول : فهو داعى اليهود ؛ ولو أجبته لتهودت أمتك .
وأما الثانى : فداعى النصارى ، ولو أجبته لتنصرت أمتك .
وأما المرأة : فالدنيا .

وفى حديث أبى سعيد : أنه رأى أخونة عليها لحم طيب ليس عليها
أحد ، وأخرى عليها لحم نتن ، عليها ناس يأكلون .

قال جبريل : هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام .
وفيه : أنه مرقوم بطونهم أمثال البيوت ، كلما نهض أحدهم خر ،
وأن جبريل قال له :

هم أكلة الربا .

وأنه مرقوم مشافهم كالإبل ، يلتقمون جمراً فيخرج من
أسافلهم ، وأن جبريل قال :

هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً .

وأنه مرقوم بنساء تعلقن بثديهن ، وأنهن الزواني .

وأنه مرقوم يقطع من جنوبهم اللحم ، فيطعمون ، وأنهم الغمازون
اللامزون .

وفيه : حتى أتيت بيت المقدس ، أوثقت دابتي بالحلقة التي كانت
الأنبياء تربطها فيها فدخلت أنا وجبريل بيت المقدس ، فصلى كل واحد
منا ركعتين .

٤

وفي رواية أنس عند مسلم :
ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت ، فجاءني
جبريل عليه السلام ، بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن .
فقال جبريل :
اخترت الفطرة - أى اخترت اللبن الذى عليه بنيت الحلقة - وقال
النوى :

المراد بالفطرة هنا : الإسلام والاستقامة .

٥

وفي رواية ابن مسعود نحوه ، وزاد :
ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين : ما بين قائم ، وراعى وساجد .
ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة ، فقمنا صفوفاً نتنظر من يؤمنا ،
فأخذ بيدي جبريل فقدمنى فصليت بهم .

٦

وفي رواية أبي أمامة عند الطبراني :
ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمداً ﷺ .

٧

وأخرج البيهقي من طريق قتادة عن أنس :
« أن محمداً ﷺ رأى ربه عز وجل »

٨

وأخرج البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى :
(وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) .
قال :

« هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ، ليلة أسرى به » .
وأخرج الطبراني في الأوسط بسند صحيح عن ابن عباس أنه كان
يقول :

« إن محمداً ﷺ ، رأى ربه مرتين : مرة يبصره ، ومرة بفؤاده » .
وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال :

نظر محمد إلى ربه ، قال عكرمة : فقلت له : نظر محمد إلى ربه ؟
قال : نعم ، جعل الكلام لموسى ، والخلة لإبراهيم ، والنظر لمحمد
ﷺ .

٩

وأخرج البيهقي في (كتاب الرؤيا) بلفظ :
« إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة ، واصطفى موسى بالكلام ، واصطفى
محمداً بالرؤيا » .
وأخرجه بلفظ :
« أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤيا لمحمد
ﷺ ؟ » .

١٠

وأخرج أحمد بسند صحيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله
ﷺ :
« رأيت ربي عز وجل » .

١١

وأخرج مسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« مررت ليلة أسرى بي على موسى عليه السلام قائماً يصلي في قبره » .

١٢

وأخرج الطبراني عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ « مر على موسى وهو قائم يصلي في قبره » (١) .

١٣

وأخرج ابن مردويه من طريق قتادة عن أنس :
« أن النبي ﷺ فرضت عليه الصلاة ليلة أسرى به » .

١٤

وأخرج ابن مردويه من طريق قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس
عن أبي بن كعب ، عن رسول الله ﷺ قال :
« ليلة أسرى بي وجدت ريحاً طيبة ، فقلت : يا جبريل ، ما هذه ؟
قال :

هذه الماشطة وزوجها وابنها ، بينما هي تمشط ابنة فرعون ، إذ سقط
المشط من يدها ، فقالت تعس فرعون ، فأخبرت أباها فقتلها .

(١) وهذه رواية أخرى تؤيد السابقة ، رواها متعمدين لما سنذكره من هذا الموضوع .

وأخرج أحمد والنسائي والبخاري والطبراني والبيهقي ، وابن مردويه بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

قال رسول الله ﷺ :

ولما (١) أسرى بي مرت بي رائحة طيبة ، فقلت :

ما هذه الرائحة ؟

قالوا : ماشطة بنت فرعون وأولادها ، سقط مشطها من يدها ،

فقلت بسم الله .

فقلت ابنة فرعون : أبي ؟

قلت : ربي هو ربك ورب أبيك .

قلت : أولك رب غير أبي ؟

قلت : نعم .

فدعاها فقال : ألك رب غيري ؟

قلت : نعم ، ربي وربك الله .

فأمر ببقرة من نحاس ، فأحميت ، ثم أمر بها لتلقى فيها وأولادها

فألقوا واحداً واحداً ، حتى بلغ رضيعاً فيهم فقال :

قعي يا أمه ولا تقاعسي فإنك على حق .

(١) هذه رواية غير السابقة .

قال : وتكلم أربعة وهم صغار ، هذا ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى ابن مريم .

١٦

وأخرج الترمذى - وحسنه وابن مردويه من طريق عبد الرحمن عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :
« لقيت إبراهيم ليلة أسرى لي فقال :
يا محمد ! أقرئ أمتك منى السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ،
عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ،
ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . »

١٧

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه ، عن أبي أيوب الأنصارى أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به مر على إبراهيم عليه السلام ، فقال له إبراهيم :
مر أمتك فليكثرُوا من غراس الجنة ، فإن تربتها طيبة ، وأرضها واسعة ، فقال النبي ﷺ :
« وما غراس الجنة ؟ »
قال : لا حول ولا قوة إلا بالله . »

١٨

وأخرج أحمد وأبو داود من طريق عبد الرحمن بن جبير عن أنس
قال :

قال رسول الله ﷺ :

« لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخشمون وجوههم
وصدورهم فقلت :

من هؤلاء يا جبريل ؟

قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم » .

١٩

وأخرج ابن مردويه ، من طريق قتادة وسليمان التيمي وثمامة وعلي
ابن زيد ، عن أنس أن النبي ﷺ قال :

« ليلة أسرى بي مررت بناس تقرض شفاههم بمقارض من نار كلما
قرضت عادت .

فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟

قال : هؤلاء خطباء أمتك ، يقولون ما لا يفعلون » .

٢٠

وأخرج ابن ماجه والحكيم الترمذى فى (نواذر الأصول) ، وابن أبى حاتم وابن مردويه من طريق يزيد بن أبى مالك ، عن أنس قال .
 قال رسول الله ﷺ :
 « رأيت ليلة أسرى فى مكتوباً على باب الجنة : الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية عشر .
 فقلت لجبريل :
 ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟
 قال : لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة » .

٢١

أخرج ابن مردويه عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ :
 « رأيت ليلة أسرى فى رجلا يسبح فى نهر يلطم بالحجارة .
 فسألت : من هذا ؟
 فقيل لى : هذا آكل الربا » .

وجاء في رواية أبي سعيد الخدرى عن البيهقى ، وفي رواية أبي هريرة
عن ابن أبي حاتم :
« فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر ،
فيقول :

اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون ، قال :
فتجىء السابلة ، فتطوهم ، قال فسمعتهم يضحجون إلى الله ، قال :
قلت يا جبريل من هؤلاء ؟
قال : هؤلاء من أمتك :
(الذين يأكلون الربا ، لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه
الشیطان من المس) (١)

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ
يقول :
« لما أسرى لى انتهيت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها أمثال القلال » .

(١) سورة البقرة من آية ٢٧٥ .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما - فيما رواه الإمام أحمد قال :

قال رسول الله ﷺ :

« لما كانت ليلة أسرى بنى . وأصبحت بمكة ، فظعت أمرى .

وعرفت أن الناس مكذبيّ » .

قال : فرعدو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس إلى . فقال له

أبو جهل كالمستهزئ :

هل كان من شىء ؟

فقال رسول الله ﷺ :

« نعم » .

قال : ما هو ؟

قال :

« إنه أسرى بنى الليلة » .

قال : إلى أين ؟

قال :

« إلى بيت المقدس » .

قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟

قال :

« نعم »

قال : فلم ير أنه يكذبه ، مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا .

قال : أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني ؟

فقال رسول الله ﷺ :

« نعم »

فانطلق أبو جهل إلى قريش فقال :

هيا يا معشر بني لؤى .

قال : فانتفضت إليه المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا إليهما .

فقال أبو جهل : حدث قومك بما حدثتني .

فقال رسول الله ﷺ :

« إني أسرى في الليلة » .

قالوا : إلى أين ؟

قال :

« إلى بيت المقدس » .

قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟

قال :

« نعم »

فإذا بالقوم بين مصفق ، وبين واضح يده على رأسه متعجباً !

قالوا : وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟
- وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد - فقال
رسول الله ﷺ :

« فذهبت أنعت ، فما زلت أنعت حتى التبس على بعض النعت
فجىء بالمسجد وأنا أنظر ، حتى وضع دون دار عقيل . فنعته وأنا أنظر
إليه » .

قال : فقال القوم : « أما النعت فوالله لقد أصاب » .
وعن الحسن : أنه في يوم الحديث عن الإسراء : ارتد كثير من كان
أسلم ، وذهب الناس إلى أبي بكر ، فقالوا له :
- هل لك يا أبا بكر في صاحبك !
يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ورجع إلى
مكة !

فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ؟ !
فقالوا : لا ، ها هو ذلك في المسجد يحدث به الناس .
قال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك ؟
فوالله إنه ليخبرني : أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة
من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه .
ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله أحدثت
هؤلاء القوم أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة .

قال :

« نعم »

قال : يا نبي الله فصفه لي فأني قد جئته ؟

قال الحسن : فقال رسول الله ، ﷺ :

« فرجع لي حتى نظرت إليه » . فجعل رسول الله ، ﷺ ، يصفه

لأبي بكر ، ويقول أبو بكر : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، قال :

حتى انتهى . قال رسول الله ﷺ ، لأبي بكر : وأنت يا أبا بكر :

« الصديق » فيومئذ سماه « الصديق » .

هذا هو الموجز الذي ترويه السنة مؤيدة القرآن عن هذا النبأ

الجليل ، ولقد حاول ابن إسحاق أن يبين الحكمة في هذا الحادث

فقدم - حسبما يروى ابن هشام - لحديث الإسراء بكلمة نفيسة يقول

فيها :

« وكان في مسراه وما ذكر منه : بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله

في قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة ، وثبات

لمن آمن بالله وصدق . وكان من أمر الله على يقين .

فأسرى به كيف شاء وكما شاء : ليريه من آياته الكبرى ما أراه ،

حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما

يريد » .

أما الإمام البوصيرى فإنه يقول فى « همزيته » المباركة :
فطوى الأرض سائراً والسموا
ت العلا فوقها له إسراء
نصف الليلة التى كان للمخ
تار فيها على البراق استواء
وترقى به إلى قاب قوسين
وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الأمانى حسرى
دونها ما وراءهن وراء
ثم وافى يحدث الناس شكراً
إذ أتته من ربه النعماء
وتحدى فارتاب كل مربى
أو يبقى مع السيول الغشاء ؟

هذا النبأ الجليل يسمعه قوم ، فلا يصل إلا إلى الجوانب الظاهرية
منهم ، فيأخذون فى الجدل الشكلى ، أكان ذلك فى اليقظة ؟
أم كان ذلك فى النوم !
أكان ذلك بالروح والجسد ؟
أم كان بالروح فقط ؟
وهل كان ليلاً ؟

أم كان نهراً؟

وهذه كلها صور من الجدل الذى يثور ، حينما يخف وزن الإيمان فى النفوس ^(١) ويسمع هذا النبأ قوم ، فيصل إلى أعماق قلوبهم ، فيتجهون فى صورة طبيعية إلى مغزاه العميق ، وإلى روحانيته السامية ، ويرون أن هذا النبأ : ينطوى على توجيهات لا ينبغى أن يمر عليها الناس مر الكرام . .

من هذه التوجيهات :

١ - لقد كان رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ، خاتمة سلسلة من الأنوار التى يرسلها الله إلى العالم بين الفينة والفينة لتهدى إلى الرشاد ، ولتقود إلى الله ، ولتسمو بالمؤمنين درجات فى معارج القدس ، لتصل

(١) يقول شوق رحمه الله فى قصيدته التى عارض فيها الإمام البوصيرى هذه الأبيات الجميلة :

يتساءلون - وأنت أظهر هيكل	بالروح أم بالهيكل الإسماء
بها سموت مطهراً وكلاهما	نور وروحانية وبهاء
فضل عليك لذى الجلال ومنة	والله يفعل ما يرى ويشاء
تغشى الغيوب من العوالم كلها	طويت سماء قلدتك سماء
فى كل منطقة حواشى نورها	نون وأنت النقطة الزهراء
أنت الجبال بها وأنت المجتلى	والكف والمرآة والحسناء
الله هياً من حظيرة قدسه	نزلا لذاتك لم يجهز علاه
العرش تحتك سدة وقوائم	ومناكب الروح الأمين وطاء
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم	حاشا لغيرك موعد ولقاء

بالجديرين منهم إلى الكمال المرجو ، عن طريق الإرشاد الإلهي . وكان الكتاب الذي أنزل عليه ، صلوات الله عليه وسلامه ، وهو القرآن : خاتم الكتب وأكملها ومهيماً عليها .

ولأن رسول الله ، صلوات الله عليه وسلامه ، تخلق بأخلاق أكمل كتاب رباني ، فهو إذن أكمل رسول ، ومن هنا كانت إمامته ، صلوات الله عليه وسلامه بالرسل والأنبياء في بيت المقدس .

ولأنه صلوات الله عليه وسلامه أكمل رسول :

كان من أجل ذلك أقرب المقرين إلى الله سبحانه وتعالى .

لقد تخطى الأرضين والسموات ، وتجاوز الكون كله ، ووصل إلى ما لم يصل إليه بشر ، بل إلى ما لم يصل إليه جبريل نفسه ، عليه السلام ، لقد وصل ، صلوات الله وسلامه عليه إلى :

« قاب قوسين أو أدنى » .

وكما أن المعنى الذي يدل عليه نبأ المعراج : من وجود الأنبياء والرسل في السموات ، ومن أن الرسول ، صلوات الله عليه وسلامه ، أخذ يتجاوز هذه السموات الواحدة بعد الأخرى ، يتجاوز الأنبياء واحداً بعد الآخر ، نقول : كما أن المعنى الذي يدل عليه النبأ معنى مكافئ ، فإنه أيضاً - بل بطريق أولى - معنى روحى . أى أن الرسول ، صلوات الله عليه وسلامه في تساميه الروحى في كل لحظة من اللحظات قد بلغ معراجه إلى درجات تجاوزت - في روحانياتها - آدم في سمائه الأولى ، ثم

تجاوزت وهكذا حتى تجاوزت روحياً إبراهيم عليه السلام في سمائه السابعة . لقد تجاوز رسول الله ، ﷺ كل ذلك ، وتجاوز الكون كله إلى سدرة المنتهى ، إلى السدرة المنتهى ، إلى شجرة النهاية ، ثم إلى حيث لا يبلغ ملك مقرب ، ولانبي مرسل إلى «قاب قوسين أو أدنى» .
ولقد رأى من آيات ربه الكبرى ، هذا هو مقام الرسول صلوات الله وسلامه عليه ! !

* * *

ولكن بعض الناس ينزل بنا من هذه الآفاق العليا والسموات السامية ، ومن الرحاب الإلهي . ينزل بنا منحدرًا فيجادل في الإسراء والمعراج .

أكان رؤيا؟

أم كان يقظة؟

أستغفر الله وأتوب إليه ! . .

إن ذلك الجدال إن دل على شيء فإنما يدل على ضعف الإيمان في قلب المجادل المارم .

* * *

٢ - وإذا كانت التوجيهات السابقة ، إنما كانت لتدلنا على مقام رسول الله ، صلوات الله عليه وسلامه ، فتزداد بذلك تقديراً وحباً واتباعاً ، فإن من هدى الله سبحانه وتعالى وتوجيهاته في نبي الإسراء

والمعراج : هذه الرمزيات الأخلاقية التي تربط ربطاً محكماً بين الدين والأخلاق .

والواقع أن الأخلاق في جو الإسلام مرتبطة بالدين ارتباطاً لا ينفصل : منه تنبع ، وعلى أساسه تقوم ، وعنه تصدر ، إنها جزء من الدين الإسلامى ، لا يتجزأ ، مصدرها هو مصدره : إلهى ربانى . وبعض الناس في العصر الحديث يريد أن يجعل للأخلاق مصادر أخرى .

يريد بعضهم أن يجعل أساس الأخلاق الضمير ، بيد أن ذلك خطأ بين ، فالضمير يرى ويكون ، وتربيته وتكوينه هما شكله ، ونزعتة واتجاهه ، الذى يتكيف بحسب الثقافة والبيئة والعصر والوسط . إن الضمير يصنع كما تصنع المزيفات ، وهو إذن مقياس للأخلاق خاطئ .

وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة العامة ، ولكن المصلحة العامة كلمة غير محددة ، وكل من يتحدث باسم المصلحة العامة : إنما يتحدث باسم فكرته هو ، منحرفة كانت هذه الفكرة أو غير منحرفة .

والمصلحة العامة إذن كأساس للأخلاق : إنما هى أساس غير مضمون .

وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة الشخصية أو

اللذة ، أو إلى المنفعة ، وكل هذا وارد الغرب عندما انحرف هذا الغرب
والحد .

أما وارد الشرق الإسلامى ، أو بتعبير أدق ، وارد الإسلام الإلهى ،
فإن مقياس الأخلاق فيه : إنما هو المبادئ الدينية ، إنما هو آيات
القرآن ، وإنما هو الفضائل التى أوحاها الله ، سبحانه وتعالى . هذه
الفضائل التى حددها القرآن فى أسلوب عربى مبين ، وتحدث عنها نبأ
الإسراء والمعراج فى صور رمزية دالة هادفة مؤثرة ، وبينتها السُّنة النبوية
الشريفة ، وركزها القرآن والسنة على أسس من الإيمان قوية ثابتة ، إنها
فى رحلة الإسراء والمعراج تكون منهج حياة مؤسسة على الإيمان بالله
ورسوله ، وهذا المنهج هو الذى نريد رسمه الآن بتوفيق الله تعالى .